الخطبة الثامنة والعشرون

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾

[الروم: 30/ 47]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله عدد خلقه، الحمد لله مداد كلماته، الحمد لله زِنَةَ عرشه، الحمد لله رضا نفسه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التوبة: 9/ 109].

إن الآية مخصوصة في الذين بنوا مسجداً ضراراً، فبيّن الله نياتهم وأعمالهم، ولم يقبل الله تعالى منهم ذلك؛ لأنهم كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [التوبة: 9/ 107]، ولكن كما قال أهل التفسير: بأن القرآن يؤخذ بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب. فمن هذا أقول: بأن كل عمل:

1 - يأتي بالضرر على المسلمين من أي وجهة، 2 - أو فيه مخالفة شرعية، 3 - أو أنه يفرق بين جماعة المسلمين ويورث الفتنة، 4 - أو أنه يساعد الكفار ويواليهم ويمالئ المحاربين لله تعالى ولرسوله ﷺ، من فعل هذا فإنه في نار جهنم وهو من القوم الظالمين، وهذا كله فيه مخالفة لمفهوم التقوى ولمفهوم رضوان الله تعالى.

وكأن الله تعالى يحض على أنه من أسس بنيانه -أي: حياته ومستقبله- على تقوى الله تعالى ورضوان الله سبحانه، أي: على خوف من الله تعالى، وعلى خشية من الله تعالى، وعلى إقامة شرع الله تعالى، والتزاماً بأوامر الله تعالى ورسوله ﷺ، وإعراضاً وبعداً عما حرم الله تعالى ورسوله ﷺ، راجياً عفو الله تعالى، مستغفراً لذنوبه وخائفاً من تقصيره، أهو خيرٌ أمّن أسس حياته ومستقبله ومعيشته على الحرام والمعصية والمخالفة، لا يرعى حراماً ولا حلالاً ولا يراعي حقوق الناس، همّه شهواته، ولذاته، وذاته، همّه دنياه، ولحظته التي هو فيها؟

- هناك أمران لا ثالث لهما: الحق والباطل، وقد يندرج تحتهما كثير من التعابير كالخير والشر، العدل والظلم، النافع والضار، وما إلى ذلك... ولكن كل التعابير تصب في مجرى الحق والباطل ...

فلو سألنا أنفسنا عن الجنة والنار، ولو سألنا أنفسنا عما يحب الله تعالى ويرضاه وعما يكرهه، ولو سألنا أنفسنا عن النجاح والخسارة، ألا ترى طريق الحق واضح، وطريق الباطل واضح؟

- إن الله تعالى هو الحق، وإن الله تعالى يأمر بالحق، وإن الله تعالى ينصر الحق، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج: 22/ 62]، وقال تعالى: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: 24/ 25]، وقال تعالى: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [يونس: 10/ 32]، وقال تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ [الرعد: 13/ 14]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ﴾ [يونس: 10/ 35]، وقال تعالى: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء: 17/ 105].

(الحق) جاءت في القرآن الكريم (227) مرة؛ لأن كل شيء يقوم بالحق، السموات والأرض وما فيهما يقوم بالحق، ويدعو إلى الحق، ويأمر بالحق والفلاح والنجاح للحق ولأهله، قال تعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ

زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: 17/ 81]، وقال تعالى: ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ﴾ [الشورى: 42/ 24]، وقال تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: 21/ 18]، وقال تعالى: ﴿ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال: 8/ 8].

- إن من سنة الله سبحانه وتعالى أن ينصر أولياءه. انظر إلى أخبار الرسل كلها التي جاءت في القرآن الكريم، ألم ينصرهم الله تعالى؟ ألم يهلك أعداءهم؟ ألم يرسل عليهم أنواع العذاب؟ قال تعالى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 29/ 40].

لماذا يخبرنا ربنا عن أخبار الأمم السابقة؟ لماذا يقص علينا أخبار الرسل؟ لأن الله سبحانه قرر قاعدة فقال سبحانه: 1 - ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: 22/ 40]، 2 - ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: 40/ 51]، 3 - ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: 47/ 7]، 4 - ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: 30/ 47].

الحمد لله على وعده، الحمد لله لنصره، الحمد لله قال تعالى: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: 30/ 47]، الحمد لله على عدله، الحمد لله على كرمه.

- الحق هو شرع الله تعالى، الحق في سنة رسول الله ﷺ، الحق في أي خير قرره الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام. نصرة الله تعالى في نصرة شرعه وأحكامه، نصرة الله تعالى في تطبيق أوامره واجتناب نواهيه.

رجع رسول الله ﷺ من غار حراء خائفاً وجلاً بعد أن جاءه جبريل عليه السلام، وذهبت به الظنون لأنه رأى ما لم يره في حياته، فقالت له أُمّنا خديجة رضي الله عنها وأرضاها: (كلا لا والله، لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلّ،

وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق) البخاري ومسلم، لقد استدلت رضي الله عنها بفطرتها السليمة أن الله سبحانه لا يخزي ولا يضيع من يقوم بالحق ويفعل الخير، ردد قوله تعالى عالياً، ردده بقوة وثبات، ردده دائماً، ردده بكل عزيمة وإيمان: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

هل رأيت متصدقاً صادقاً محتاجاً؟ أبو بكر رضي الله عنه الذي تبرع بماله كله، هل صار محتاجاً؟ هل صار فقيراً؟ هل احتاج أحداً أو مد يده إلى أحد؟ حاشا لله وكلا.

أبو الدحداح رضي الله عنه الذي تبرع بحائطه، ببستانه الذي هو أجمل البساتين وأحلاها، حتى قال له رسول الله ﷺ: «كم من عذق رداح لأبي الدحداح في الجنة» هل أخزاه الله عز وجل؟ هل أفقره الله تعالى؟ حاشا لله وكلا، نعم: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

هل رأيت صادقاً أخزاه الله؟ مرارة بن الربيع، كعب بن مالك، هلال بن أمية رضي الله عنه صدّقوا الله ورسوله في تخلفهم عن غزوة تبوك، ولم يكذبوا ولم يلفقوا الأعذار كما فعل غيرهم، فقبلهم الله تعالى وعفا عنهم نتيجة صدقهم. قال تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 9/ 102].

- هل رأيت مقبلاً على الله تعالى ردّه الله تعالى؟ حاشا لله وكلا.

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: إذا تقرب إليّ العبد شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإذا تقرب إليّ ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة» البخاري.

وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يقول الله تعالى: من عمل حسنة فله عشر أمثالها أو أزيد، ومن عمل سيئة فجزاؤها مثلها أو أغفر، ومن عمل قراب

الأرض خطيئة ثم لقيني لا يشرك بي شيئاً؛ جعلت له مثلها مغفرة، ومن اقترب إليّ شبراً...» حم - م - ابن ماجه الحمد لله، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

هل رأيت عابداً قائماً بحدود الله ضيّعه الله تعالى؟ حاشا لله وكلا.

عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «قال الله تعالى: من آذى لي ولياً فقد استحل محاربتي، وما تقرب إليَّ عبدي بمثل أداء الفرائض، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت عينه التي يبصر بها، وأذنه التي يسمع بها، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وفؤاده الذي يعقل به، ولسانه الذي يتكلم به، إن دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن وفاته وذلك لأنه يكره الموت وأنا أكره مساءته» مسند الإمام أحمد - البيهقي.

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ألم ينصر الله تعالى رسوله ﷺ؟ ألم ينصر الله أبا بكر رضي الله عنه؟ ألم ينصر الله طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه من أمه الصعبةُ بنت الحضرمي؟ ألم ينصر الله الزبير بن العوام رضي الله عنه من عمه الذي كان يعلقه في حصير ويدخن عليه النار وهو يقول: ارجع إلى الكفر، فيقول الزبير: لا أكفر أبداً؟ ألم ينصر الله بلالاً رضي الله عنه من أمية بن خلف بمقولة: أحدٌ أحد؟ ألم ينصر الله خباب بن الأرت رضي الله عنه على سيدته أنمار بنت سباع الخزاعية؟ التي أصابها الله بوجع في رأسها، فأشاروا عليها أن تكوي رأسها بالنار، ولم يستطع أحد فعل ذلك، فأمروا خباباً أن يكوي رأسها بالنار فماتت. وقد كانت تأخذ الحديد الملتهب وتضعه على رأس خباب، فانتقم الله له وعاقبها بمثل فعلها على يد من كانت تعذبه بطلبها ورضاها ورضا أهلها، فسبحان الله العظيم، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

يا أخي في الله هل أسست حياتك على تقوى من الله تعالى ورضاً؟ هل أنت مع الحق وتطبق الحق وتريد الحق وترضى بالحق؟ أم أنك مع الباطل وحياتك في باطل؟

يقول تعالى: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر: 74/ 56]، أي: أنه سبحانه هو

أهل لأن يتقى وأهل لأن يُخاف فلا يعصى، إذا عرفت الله سبحانه وعرفت صفاته سبحانه، عرفت أنه هو أهل لأن يتقى فتخافه وتخاف عقابه، وإذا عرفت الله سبحانه وعرفت صفاته عرفت أنه أهل لأن يغفر ويرحم.

ولهذا -والله أعلم- قال سبحانه في كتابه العزيز:

1 - ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [الأنعام: 6/ 91].

2 - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: 22/ 73 - 74].

3 - ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: 39/ 67].

نعم لو عرفوا الله سبحانه وعرفوا أنه الإله، أي: أنه المشرع، والمعبود، وأنه لا يعبد إلا بما شرّع، وعرفوا أن شرعه فيه النور والهدى وفيه الصلاح والمنفعة في الدنيا والآخرة، لو عرفوا هذا وآمنوا به لطبقوه وجعلوه دستور حياتهم ومنهاجاً يطبق يومياً، لو عرفوا الله سبحانه وتعالى لما استعانوا بغيره، ولا توسلوا بغيره، ولا طلبوا من غيره، ولا اتكلوا على غيره، ولا شكروا غيره، ولا حمدوا غيره ... لو عرفوا الله سبحانه لعلموا أنه الخالق القادر الواهب الرازق، المحيي المميت، العاطي النافع الضار سبحانه وتعالى.

لو عرفوا الله سبحانه وتعالى، لعرفوا أن المرجع له، والمآل إليه، وكل شيء بيده سبحانه، وهو الأول والآخر والظاهر والباطن سبحانه وتعالى.

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ جاءت في ثلاث مواضع في القرآن ذكرتها آنفاً، فالآية الأولى في الأنعام تشرح الألوهية، والآية الثانية في الحج تشرح توحيد الربوبية، والآية

الثالثة في الزمر تشرح توحيد الأسماء والصفات، لو عرفت هذا لصحت لديك العقيدة الإسلامية فهذه أركانها.

- لو عرفت هذا لعرفت أنه سبحانه ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ .

عن جبير بن مطعم رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ويحك إنه لا يستشفع بالله على أحد إن شاء، والله أعظم من ذلك، ويحك أتدري ما الله؟ إن الله فوق عرشه، وعرشه على سمواته وأرضه مثل القبة، وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب» أبي داود.

سبحانه وتعالى آمنت بربي وآمنت بأسمائه وصفاته كما جاءت من غير زيادة أو نقصان ومن غير تعطيل ولا تأويل ولا تكييف ولا تشبيه ولا تمثيل، نؤمن بها كما جاءت، وكما قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: (أؤمن بصفات الله كما قال الله، على مراد الله سبحانه وتعالى).

- لو عرفت الله سبحانه لعرفت أنه ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يد الله ملأى لا يغيضها نفقة (لا يقللها ولاينقصها)، سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض؟ فإنه لم يغض ما في يده، وكان عرشه على الماء، وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع» متفق عليه - حم - ت.

يا أخي في الله، أعود فأذكّرك بالآية: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [التوبة: 9/ 109].

كيف هي حياتك؟ هل شرع الله تعالى والحلال والحرام همّك؟ هل مرضاة الله تعالى همّك؟ هل تخاف من الموت لأنه انقطاع لعملك؟ هل تخاف من القبر لأنه كما قيل أول منازل الآخرة؟ إن كان خيراً فما بعده أخير منه، وإن كان سيئاً وشراً فما بعده شر منه وأسوأ، هل أنت مع الحق؟

هل أنت ممن ينصره الله تعالى؟ هل تعلم بأنه سبحانه ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾؟

هل عقيدتك سليمة؟ هل أنت ممن قدروا الله حق قدره؟ هل أولادك بخير، عقيدة، وعبادة، وسلوكًا؟

لو متَّ اليوم، من يترحم عليك؟ هل هناك من يكون مسروراً لوفاتك؟ هل تكون أنت مسروراً بلقاء الله تعالى؟ هل هناك من سيتكلم عنك شراً؟ أم أن الناس ستثني عليك خيراً؟

لو متَّ اليوم؟ هل تركت صدقة جارية؟ هل انقطع عملك؟ هل تركت أثراً طيبًا وراءك يُحْتَذى؟ أم ماذا تركت؟ هل عشت لنفسك ولشهواتك وملذاتك؟ أم أنك عشت تخاف الله تعالى وتخشى الله تعالى وتحب أهل الله وتساعد الناس؟

عن أبي قتادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مستريح ومستراح منه، العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله تعالى، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب» متفق عليه - حم - ن.

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شراً وجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض» متفق عليه - حم - ن.

أي الرجلين أنت؟ أعود فأذكر نفسي بقصة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وأرضاه، رجل فقير صغير ضعيف كان يرعى الغنم لعقبة بن أبي معيط، أسلم واتبع رسول الله ﷺ، ولمّا اقترح أحد الصحابة في مكة أن القرآن يجب أن يُصدح به ويجب أن يُقرأ ويسمعه الملأ من قريش، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنا أُسْمِعُهُم إياه، وخرج إلى الكعبة، وقرأ بأعلى صوته: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ [الرحمن: 55/ 1 - 4]، فهبت قريش مذعورة لهذا التحدي وقاموا فضربوه وآذوه وكادوا أن يقتلوه، هل أخزاه الله؟ هل ضيّعه الله؟ هل أذّله الله؟ ألم يكن هو الذي صعد على صدر أبي جهل، وقال له أبو جهل: (لقد ارتقيت مرتقًا صعبًا يا رويعي الغنم)، فقال له ابن مسعود رضي الله عنه: لقد أخزاك الله يا عدو الله، وحز رأسه وأتى به رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ﷺ هذا رأس عدو الله أبي جهل،

فقال رسول الله ﷺ: «الله الذي لا إله إلا هو؟» فكررها ثلاثاً، فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر، الحمد لله الذي صدق وعده، ونصر عبده، وأعز دينه، وهزم الأحزاب وحده، ثم خر ساجداً شكراً لله عز وجل، فركع ركعتين» صحيح البخاري.

هل ضيّعه الله؟ هل أخزاه الله؟ هل أذله الله؟ حاشا لله وكلا.

جلس النبي ﷺ تحت نخلة وأدام النظر إلى رطبها، فقال عبد الله بن مسعود: كأنك تريد الرطب يا رسول الله؟ فأومأ برأسه ﷺ، فقام ابن مسعود وصعد النخلة، فبدت ساقاه النحيلتان الدقيقتان القصيرتان، فضحك الصحابة رضوان الله عليهم، فقال رسول الله ﷺ: «أتضحكون من دقة ساقيه؟! فوالله لساق عبد الله بن مسعود أثقل عند الله من جبل أحد» وفي رواية ابن جرير: «والذي نفسه بيدي لهما أثقل في الميزان يوم القيامة من جبل أحد» حم - الطبراني - صحيح.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى المسجد فإذا رجل قائم يصلي في المسجد، فقام رسول الله ﷺ يستمع قراءته فقال رسول الله ﷺ: «من سره أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل؛ فليقرأه على قراءة ابن أم عبد»، ثم جلس عبد الله بن مسعود يدعو، فجعل رسول الله ﷺ يقول: «سل تعطه» قلت -أي: عمر رضي الله عنه-: (لأغدون إليه فلأبشرنه، فغدوت إليه لأبشره فوجدت أبا بكر رضي الله عنه قد سبقني إليه فبشره، والله ما سابقته -أي: أبا بكر- إلى خير قط إلا سبقني إليه) حم - ت - د - ابن خزيمة.

هل أذله الله تعالى؟ هل ضيّعه الله تعالى؟ حاشا لله وكلا.

عن حبة العرني أن عمر بن الخطاب بعثه -أي: عبد الله بن مسعود- إلى أهل الكوفة فقال عمر رضي الله عنه: (بعثت إليكم عبد الله بن مسعود واخترته لكم وآثرتكم به على نفسي أثرة، كنيف ملئ علماً). وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: (إن أشبه الناس هدياً ودلاً وسمتاً برسول الله صلى الله عليه وسلم: عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وأرضاه) حم.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كان ابن مسعود يشهد إذا غبنا ويُؤذَنُ له إذا حُجبْنَا؛ أي: أن ابن مسعود يشهد مع رسول الله ﷺ، يشهد وجوده أينما يذهب، لا يشغله عن رسول الله ﷺ شاغل ، ويُؤْذن له إذا حُجبْنَا؛ أي: أنه كان يسمح له بالدخول على بيوت رسول الله ﷺ متى شاء لا يغلق دونه باب من أبواب رسول الله ﷺ، لمحبة رسول الله ﷺ له. فهو رضي الله عنه سادس ستة أسلموا، وهو أول من صدح بالقرآن بمكة. وقد علمه رسول الله ﷺ سبعين سورة، وهو الذي يقول: لقد علمت بضعاً وثمانين سورة أين نزلت، ومتى نزلت، وفيم أنزلت، لا ينازعني فيهن أحد. وعن عثمان بن أبي العاص وعمرو بن العاص رضي الله عنهما أنهما قالا: «مات رسول الله ﷺ وهو يحب رجلين: عبد الله بن مسعود، وعمار بن ياسر رضي الله عنه».

هذا واحد من صحابة رسول الله ﷺ، والأمثلة كثيرة، وجيل الصحابة رضوان الله تعالى عليهم كلهم هكذا؛ نماذج من الإيمان والتضحية والصدق مع الله تعالى، وهم أيضاً نماذج حقق الله تعالى فيهم وعده في الدنيا قبل الآخرة، هم برهان لنا وبرهان علينا، ومثلٌ يحتذى ويقتدى، ولقد نصرهم الله تعالى وأيدهم، واستجاب دعاءهم، لكي أؤمن أنا، وتؤمن أنت بأن الله تعالى ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: 22/ 40].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على سيد المرسلين ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين